العنف بين طلاب المدارس وأساليب مواجهته*

نظرة عامة على النتائج

أحمد زايد**

يهدف هذا البحث إلى التعرف على صور العنف الأكثر ظهوراً بين طلاب المدارس فى مصر ، ومدى اختلاف هذه الصور باختلاف نوع التعليم والمراحل التعليمية . ولقد نظرت الدراسة إلى العنف المدرسى نظرة واسعة على ثلاثة مستويات : الأول هو العنف الذى يظهر بين الطلاب أو بينهم وبين الآخرين أثناء الذهاب إلى المدرسة ، والعنف الذى يظهر فى المدرسة عبر اليوم الدراسى كله ، والعنف الذى يظهر أثناء العودة من المدرسة . ولقد اعتمدت الدراسة على استمارة استبيان طبقت على عينة قوامها ٣٦٠٠ مفردة اختيرت من سبع محافظات على مستوى الجمهورية ، ومن مستويات تعليمية مختلفة مُثلت فيها جميع أنماط التعليم (الحكومية والخاصة والفنية) . ولقد تم تحليل بيانات الدراسة تحليلاً كمياً أفضى إلى نتائج هامة فيما يتصل بالعنف المدرسى ، منها تأكيد ارتفاع معدلات العنف المدرسى بين الذكور ، وارتفاع معدلاته بعد الخروج من المدرسة مقارنة بالذهاب إلى المدرسة ، وأن معدل العنف بين الطلاب يصل إلى حوالى ٣٠٪ . ووضعت الدراسة – فى ضوء ماتوصلت إليه من نتائج – استراتيجية لضبط العنف فى المدارس المصرية .

مقدمـــة

هذه الدراسة فى نطاق خطة المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، والتى تهدف إلى أن تضع أمام صانع القرار نتائج علمية تمكنه من أن يرسم سياسات عامة صحيحة ، وأن يصدر قرارات معتمدة على بيانات علمية دقيقة .

* ندوة حول نتائج بحث العنف بين طلاب المدارس (٣ تقارير) ، والذى أجراه المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، تحت إشراف أ . د . أحمد زايد ، وأ . د . سميحة نصر باحثا رئيسيا ، وعضوية كل من : د . صفية عبدالعزيز ، ود . محمود بسطامى ، وأ . إكرام الياس ، وأ . منال زكريا ، وأ . ياسر السيد . عقدت الندوة بمقر المركز يوم الأحد الموافق ٢٠٠٧/٥/١٣ ، ورأس الجلسة د . حسن البيلاوى .

** أستاذ علم الاجتماع وعميد كلية الآداب بجامعة القاهرة .

المجلة الجنائية القومية ، المجلد الخمسون ، العدد الثالث ، نوفمبر ٢٠٠٧ .

ولقد تزايدت معدلات العنف المدرسى فى أماكن كثيرة من العالم ، وتأتى الدول الصناعية الكبرى - وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية - فى مقدمة الدول التى تعانى من هذه الظاهرة . ولعل المراجعة التى حدثت فى أمريكا لبرامج ومناهج التعليم تحت الشعار المعروف "أمة فى خطر" قد ارتبطت بتفاقم ظاهرة العنف المدرسى .

ورغم أن العنف المدرسى فى مصر ليس بهذه الخطورة ، فإن إجراء هذا البحث قد يكتشف جذورا للظاهرة يمكن ضبطها والتحكم فيها ، حتى قبل أن تحدث ، واستهدف البحث الإجابة على الأسئلة التالية :

- ما صور العنف التى تظهر فى تفاعلات الطلبة بعضهم مع البعض الآخر ومع المدرسين ؟
- هل تختلف هذه الصور باختلاف النوع ومستوى التحصيل الدراسى والمرحلة التعليمية ؟
- هل للبيئة المحيطة بالمدرسة - طبيعة النمط العمرانى والتزاحم ومعدل العنف فى الشارع - دور فى بلورة السلوك العنيف ؟
- هل تلعب الظروف الأسرية - خاصة التفكك الأسرى وتواجد العنف فى العلاقة الزواجية وفى التنشئة الاجتماعية - دوراً فى السلوك العنيف للطلاب ؟
- ما تأثير النظام المدرسى واللوائح والقوانين المنظمة للسلوك داخل المدرسة فى إفراز السلوك العنيف ؟
- ما دور سلوك المدرسين - خاصة العنف الرمزى والفيزيقى فى التعامل مع الطلبة - فى ظهور العنف لدى الطلاب ؟
- ما تصورات واتجاهات الطلبة أنفسهم حول ظاهرة العنف المدرسى وأسبابها وآليات مواجهتها ؟

ولقد أجرى هذا البحث على عينة كبيرة قوامها ٣٦٠٠ طالب ، تم اختيارها بناء على اختيار المحافظات التى تمثل ج . م . ع . فتم اختيار سبع محافظات هى : القاهرة من المحافظات الحضرية ، ومحافظة الشرقية من محافظات شرق الدلتا ، ومحافظة البحيرة من محافظات غرب الدلتا، ومحافظة المنوفية من محافظات وسط الدلتا، ومحافظة الجيزة من محافظات شمال الوادى ، ومحافظة المنيا من محافظات وسط الوادى ، ثم محافظة سوهاج من محافظات جنوب الوادى . وتم اختيار الإدارات التعليمية بطريقة عشوائية من كل محافظة ، وتم ترقيم المدارس داخل كل إدارة تعليمية ، واختيرت عينة عشوائية منتظمة من هذه المدارس من كل إدارة على حدة ، وقد بلغ عدد مدارس الثانوى الحكومى ٨٩ مدرسة على مستوى المحافظات السبع ، و٩٢ مدرسة إعدادى حكومى . وبلغ عدد المدارس الثانوى الخاص ٢٥ مدرسة (عربى ولغات) ، و٧٦ مدرسة إعدادى (عربى ولغات) .

أما بالنسبة للتعليم الفنى ، فقد اقتصر على التعليم التجارى فقط ، حيث إن التعليم التجارى يمثل ٤٣٪ من إجمالى التعليم الفنى ، وبلغ عدد المدارس المختارة فى التعليم التجارى على مستوى المحافظات السبع ٦٩ مدرسة (حكومى ، خاص) .

وقد تم تمثيل الموقع الإيكولوجى محافظات حضرية ، وجه بحرى وجه قبلى، البيئة السكنية (حضر/ ريف) النوع ذكور وإناث ، المرحلة الثانوية عام/ ثانوى فنى/ إعدادى نمط التعليم حكومى/ خاص .

وقد تم اختيار ٦١٢ حالة بطريقة عشوائية للدراسة النفسية ، وتم اختيار ١٠٠٠ حالة ، منها ٥٠٠ حالة للعاملين بالمؤسسة التعليمية بطريقة عشوائية ، و٥٠٠ حالة لأولياء الأمور تم اختيارهم بشكل عمدى ، لصعوبة الوصول إلى

عناوين الطلبة . واعتمدت الدراسة فى جمع بياناتها على استبيانات واختبارات نفسية تم تطبيقها على الطلبة والمدرسين وأولياء الأمور ، ولقد قدمت وزارة التربية والتعليم كل العون فى تسهيل مهمة الباحثين الميدانيين .

ونكتفى هنا بعرض أهم النتائج العامة ، مع تقديم بعض الأسس التى يمكن أن تفيدنا فى رسم استراتيجية لضبط العنف بين طلاب المدارس .

أولا : النتائج

١- نود - بادئ ذى بدء - أن نضع أهم نتيجة توصلنا إليها من خلال الدراسة الحالية بين يدى القارئ ، وهى نتيجة أحسب أنها هامة ، وهى أن العنف المدرسى فى مصر لا يصل بحال إلى مستوى الخطورة أو السلوك النمطى المتكرر الذى يعد سمة من سمات اليوم المدرسى فى العالم . ففى كل صور العنف التى درست جاءت النسبة التى تؤكد أنها مارست عنفا قليلة لم تزد على ٣٠٪ ، وأهم من تلك النتيجة تلك الأخرى المصاحبة ، وهى أن صور العنف المدرسى لم تتحول فى المدارس المصرية إلى الصور الأشد قسوة التى توجد فى بعض بلدان العالم كالولايات المتحدة الأمريكية مثلا . صور العنف - هنا - هى صور بسيطة ترتبط بالسعى نحو الإغاظة أو الهزر أكثر من ارتباطها بمحاولات الانتقام ، كما أن جلها ما هو إلا صور خفيفة ترتبط بالضرب أو الركل أو الدفع أثناء اللعب أو المزاحمة أثناء الطابور ، هذا بجانب صور العنف اللفظى فلم نصادف - هنا - صورا لاستخدام أسلحة ، أو التنظيم فى عصابات منحرفة ، أو زمرا متنمرة كما يظهر فى البحوث التى تجرى فى بلدان أخرى ، والتى تظهر منها صور من العنف المدرسى تصل إلى القتل واستخدام الأسلحة النارية ، وتنظيم الزمر المنحرفة ... إلخ .

٢- ومن النتائج الهامة التى يجب أن نسجلها فورا أن العنف خارج المدرسة أكثر تكرارا من العنف داخل المدرسة . وهذا أمر طبيعى فى ضوء النظام الذى يخضع له التلميذ داخل المدرسة . ولكن هذه النتيجة تحتاج إلى مناقشة أكثر تفصيلا . لقد انتهجت هذه الدراسة نهجا ينظر إلى العنف المدرسى نظرة أوسع ، حيث تتبعت العنف أثناء الطريق إلى المدرسة ، وفى داخل المدرسة ، وأثناء العودة من المدرسة ، وذلك على مستويات ثلاثة هى : المشاهدة ، والتعرض للعنف ، وممارسته بالفعل . وتدلنا هذه النتيجة على حقيقة مهمة مؤداها أن التلاميذ - خاصة الذين يذهبون إلى مدارسهم ويعودون منها مترجلين أو فى المواصلات العامة - يشكلون جمهورا مستهدفا للعنف المدرسى ؛ وذلك لأنهم يتعرضون لصور أكثر من العنف كمشاهدين أو كضحايا أو كممارسين ، وفى ضوء المقولة النظرية المتعلقة بتعلم العنف ، وكذلك المتعلقة بالعنف والإحباط ، والثالثة المتعلقة بالعلاقة بين التعرض للعنف وممارسته ، كل هذه المقولات النظرية تدفعنا إلى التأكيد على أن هذه الفئة من التلاميذ يمكن أن تشكل مصدرا كبيرا للعنف المدرسى فى المستقبل . وهو أمر يدفعنا أيضا إلى أن نؤكد أهمية سلامة الطريق بالنسبة للتلاميذ كإحدى الاستراتيجيات الهامة للوقاية من العنف المدرسى .

٣- وتتفرع عن النتيجة السابقة بعض النتائج الهامة التى نعرض بعضها فيما يلى :

أ - إن المستويات الثلاثة للتعرض للعنف أثناء الذهاب إلى المدرسة والعودة منها (المشاهدة والوقوع ضحية للعنف وممارسته) تتدرج من حيث شدتها . فقد أقر عدد كبير من الطلاب بأنهم شاهدوا حوادث عنف ، وأقر ما يقرب من ثلثى الطلاب فقط بأنهم وقعوا ضحايا للعنف ، وأقل

من ٣٠٪ منهم أقروا بأنهم اقترفوا عنفا . وهذا يدل على أن الطلاب جميعا – حتى الذين يستخدمون وسيلة آمنة فى الانتقال إلى المدرسة – يشاهدون حوادث عنف ، وأن نسبة كبيرة منهم – خاصة من يذهبون سيرا على الأقدام أو يستخدمون المواصلات العامة – يتعرضون للعنف كضحايا . ويوسع ذلك من دائرة الاستهداف للعنف وتعلم أساليبه .

ب – إن طبيعة العنف أثناء الذهاب إلى المدرسة تختلف عنه أثناء العودة من المدرسة ، وكلاهما يختلف عن العنف الذى يحدث فى المدرسة . إن ذلك الأخير يتم تحت الرقابة المدرسية الشديدة . وهو يرتبط بالصور البسيطة من السلوك العنيف ، كالإغاظة والغضب والركل والدفع والضرب غير المؤذى والقذف بالطباشير . ولكن عندما نقارن العنف الذى يظهر أثناء الذهاب إلى المدرسة بذلك الذى يظهر أثناء العودة من المدرسة نجد اختلافا يرتبط بطبيعة السياق الذى يحدث فيه العنف . ففى الطريق إلى المدرسة يكون التلميذ متوجها نحو هدف محدد هو الوصول إلى المدرسة فى وقت محدد ، ولذلك فإن ثمة رقابة هنا بسيطة – قد يدفع إليها الالتزام بمواعيد المدرسة – ممايترتب عليه حدوث أنماط بسيطة وأقل حدة ، تتمثل فى المعاكسات والمضايقات ، وصور العنف اللفظى (الشتيمة والاستهزاء)، والقذف بالطوب ، والضرب بالأيدى . ولا تحدث هنا نزاعات حادة أو خناقات . ولكن الوضع يختلف أثناء العودة من المدرسة . فالوقت هنا يكون مفتوحا ، والضبط يكون ضعيفا أو منفلتا . ومن ثم تظهر صور مختلفة من العنف التى غالبا ما تكون جماعية . ففى طريق العودة من المدرسة تظهر التجمعات الشللية ، ومن ثم تظهر الخلافات والخناقات . وغالبا ما تنتظم هذه الشلل بين

جماعات من داخل المدرسة الواحدة ، ولكنها قد تكون شللا من مدارس مختلفة . وقد أشار التلاميذ – بشكل واضح – إلى مشاهدة المشاجرات بين اثنين من التلاميذ (٨٠٪ من العينة أشاروا إلى مشاهدة هذا النوع من العنف)، وإلى الخناقات بين الشلل (٦٤ر٤٪) ، وإلى الخناقات بين شلل من مدرستين (٢١ر٢٪) . وهذه ظواهر لا توجد فى المدرسة ولا فى الطريق إلى المدرسة . ويدعونا ذلك إلى أن نلفت الانتباه الى ظاهرة تكوين الشلل ، أو الزمر الطلابية ، حيث أشار ٧ر٤٪ من التلاميذ الذين شكلوا عينة هذا البحث إلى أنهم يذهبون إلى المدرسة ويعودون فى شلة . ويعد تكوين هذه الشللية أمراً طبيعياً فى مثل هذه الظروف ، وطبيعة المرحلة العمرية التى يمرون بها ، ولكن التراث النظرى والبحثى يخبرنا بأن تكوين الشلل قد يؤدى إلى تكوين جماعات منحرفة ، أو زمر متنمرة من التلاميذ يمكن أن تدخل فى سلوكيات انحرافية .

٤ – ويدعونا ذلك إلى أن نتعمق قليلا فى قضية الشللية هذه ، وأن نقدم لها تفسيرا فى ضوء الظروف المحيطة بالتلميذ . فمن الواضح أننا لا يمكن أن نفسر الميل إلى الذهاب والعودة من المدرسة فى جماعات فى ضوء الميول الانحرافية ، كما تؤكد بعض النظريات والدراسات السابقة . ولكن المسألة ترتب فى سياق المجتمع المصرى ، من خلال حرص الأسرة على سلامة أولادها الذين يذهبون – فى الغالب – إلى المدرسة وحدهم بطرق مواصلات عامة مكدسة ومزدحمة ، فالوجود فى جماعة يجعل الطفل يشعر بالأمن والأمان الذى يستمده فى هذه الحالة من حماية الجماعة فى حالة تعرضه لأى اعتداء . ولقد ظهر أن الإناث أكثر حرصا من الذكور على الذهاب والعودة سويا ، مما يؤكد على التفسير الذى نقدمه هنا ، والمرتبط بمحاولة

تأمين الطريق . فإذا كان الشعور بالقلق لدى الأسرة على الذكور والإناث معا ، فإن هذا القلق يتزايد فى حالة الإناث ، كما أن سير الإناث فى جماعة يمثل حصنا يحميهن من عدوان الذكور وتنمرهم .

٥ – وترتبط قضية الشللية والسير فى جماعات أثناء الذهاب أو العودة من المدرسة – والتى فسرناها فى ضوء عدم الشعور بالأمن والقلق الذى يراود الأسرة على أبنائها – ترتبط هذه القضية بقضية الاحتياطات التى يتخذها الطلاب لحماية أنفسهم أو الدفاع عن أنفسهم . وقد أكدت دراستنا على أن هناك اتجاها لدى الطلاب بعامة والإناث بخاصة نحو حمل أدوات دفاع عن أنفسهن ، خاصة الأدوات التى لا يعاقب عليها القانون ، وهى أدوات يمكن وضعها فى حقيبة المدرسة ، مثل مطواة صغيرة أو دبوس أو الإسبراى ، وهو اتجاه يظهر فى الحضر أكثر من ظهوره فى الريف ، الأمرالذى يدل على أن الشعور بعدم الأمن والقلق بالنسبة للطريق إلى المدرسة وإليها يظهر فى الحضر على نحو واضح ، خاصة فى الأماكن المتطرفة أو الأحياء العشوائية .

٦ – وبين الذهاب إلى المدرسة والرجوع منها تبقى بيئة المدرسة التى يجب أن نقف عندها قليلا . لقد أشرنا من قبل إلى أن صور العنف التى تظهر فى هذه البيئة هى صور بسيطة ، وهى أقل خطورة من كل التى تظهر أثناء الرجوع من المدرسة . ولكن ثمة نتيجة هامة تتصل بالعنف داخل المدرسة وتوضح أن بيئة المدرسة ليست بيئة واحدة تخضع لصورة واحدة من النظام والانضباط . فهناك طابور الصباح ، وهناك الصعود إلى الفصول ، ثم الفصول ، ثم ما بين الحصص ، ثم الفسحة . وتظهر الفروق فى صور العنف التى يمكن أن تظهر فى كل مجال من هذه المجالات . ومن أهم النتائج التى

رصدها هذا البحث أن بيئة الفصل – والتى تعد أكثر هذه البيئات انضباطا – أصبحت بيئة تشى بقدر من عدم الانضباط ، خاصة فى الحضر الذى يظهر فيه التكدس والازدحام ، وهذه نتيجة تدعونا إلى أن نتأمل قضية الأمان المدرسى ، أو السلامة المدرسية ، وهى قضية تحتاج إلى تعميق فى دراسات أخرى .

٧ – وتدعونا هذه النتيجة الى أن نتأمل – بشكل أعمق – صور الانحراف عن القواعد والقوانين داخل المدرسة ، مثل ظاهرة القفز من على الأسوار والهرب من المدرسة ، ولهذه الظواهر الإنحرافية علاقة بالعنف المدرسى ؛ وذلك أنها تشجع عليه ، أو تهيئ له الفرصة ، ويكون الهاربون من المدرسة أكثر الفئات المستهدفة لا للعنف فقط ولكن للانحراف بشكل عام . وقد دلت النتائج الميدانية على وجود نسبة من الطلاب تهرب من المدرسة ولا تكمل اليوم الدراسى ، الأمر الذى يدل على أن اللوائح المدرسية لا يتم تفعيلها بشكل كاف ، وأن الطلاب يدركون – فى بعض الأحيان – إمكانية عدم تحقق النظام وفاعليته ، ومن ثم تظهر لديهم إمكانية مخالفته . وقد لا تعود نسبة من هؤلاء الطلاب إلى منازلهم مباشرة ، بل يقضون فترة من الوقت – ربما حتى انتهاء اليوم الدراسى – يتسكعون فى الشوارع أو يجلسون على المقاهى أو يلعبون الكرة . وتعد هذه السلوكيات بدايات للانحراف ، ولتكوين زمرة متنمرة ربما تقع فى شباك الانحراف بعد ذلك .

٨ – كما تلفت النتائج الميدانية – بشكل عام – إلى أن العنف المدرسى لا ينبغى وضعه فى بوتقة واحدة ، فهذا العنف يتباين بتباين المتغيرات التى ننظر إليه من خلالها :

أ – تختلف صور العنف وأنماطه باختلاف النوع (الذكور ، الإناث) ، بحيث

تطالعنا النتائج بأن ثمة صوراً للعنف يتميز بها الذكور عن الإناث ، فالضرب والركل واستخدام القوة البدنية – بشكل عام – كلها صور للعنف الذكورى ، بينما القرص وشد الشعر هى صور تخص الإناث أكثر من الذكور .

ب – كما يختلف العنف من حيث شدته باختلاف المراحل الدراسية ونمط التعليم الحكومى والخاص ، حيث أوضحت النتائج أن ثمة ارتباطا بين شدة العنف المدرسى وتعدد أنماطه والالتحاق بالمدارس الثانوية الفنية ، وهذه نتيجة فى حاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث ؛ للتعرف على الأسباب الكامنة خلف إفراز المدارس الثانوية الفنية لهذه الصور من العنف أكثر من المدارس الإعدادية والثانوية العامة .

جـ – كما ألقت النتائج مزيداً من الضوء على العلاقة بين مستويات التعرض للعنف وبين ممارسة العنف ومشاهدته والوقوع كضحية له . حيث أوضحت النتائج أنه كلما كان الطلاب أكثر تعرضا للعنف زاد لديهم الميل للوقوع ضحايا له : كمشاهدين ، وضحايا ، وممارسين . وهذا يعنى أن ثمة افتراضا على أن المعرضين للعنف أكثر ارتكابا لهذا العنف .

د – وأوضحت النتائج أيضا ارتباط شدة العنف وتعدد أنماطه بانخفاض المستوى الاقتصادى الاجتماعى ، وهذا يتفق مع الإطار النظرى الذى انطلقنا منه ، الذى يؤكد على أن هناك علاقة بين الفقر والحرمان النسبى والميل إلى العنف .

هـ – وهناك أيضا تباين لصور العنف المدرسى وأنماطه بتباين البعد الريفى – الحضرى ، بحيث نستطيع أن ندرك بسهولة أن ثمة عنفا حضريا وآخر ريفيا .

٩ – وأخيرا ، فقد عكست اتجاهات الطلاب ميلا إيجابيا نحو المدارس التى يدرسون فيها ، وحول أنماط التفاعل التى يدخلون فيها مع زملائهم ، وهم على وعى بالسمات الإيجابية والسلبية فى سلوك زملائهم . وهم يتفهمون الظروف التى تؤدى إلى العنف ، وبعضها ظروف لحظية موقفية تؤدى إلى استنفار مشاعر العداء والغضب ، وبعضها يرجع إلى أسباب أدائية وظيفية يحقق الطلاب من خلالها أهدافا معينة ، كاستعراض القوة أو أخذ الحق ، أو الدفاع عن النفس ودفع الظلم . وقد يؤشر هذا الوعى بأسباب العنف على الوعى بإمكانية تحقيق الأمان فى بيئة المدرسة .

١٠– يمثل العقاب وسيلة لضبط السلوك فى الأسرة والمدرسة على حد سواء . ولكن يلاحظ – من خلال النتائج – أن ثمة فرقاً كبيراً بين لجوء الأسرة إلى العقاب كوسيلة للضبط وبين لجوء المدرسة لهذا العقاب . ففى حين كانت نسبة الطلاب الذين أكدوا على لجوء الأسرة للعقاب كأسلوب متكرر بلغت ٢ر١١٪ ، نجد أن هناك نسبة ٧ر٩٠٪ من الطلاب أكدوا على أن المدرسة غالباً ما تلجأ إلى العقاب . والحقيقة أن مقارنة النسبتين تكشف عن أن الأطفال يدركون أن الأسرة مؤسسة لا ترتبط بالعقاب ، ويدركون المدرسة على أنها مؤسسة ترتبط بالعقاب ، رغم أن المؤسستين تتساويان فى أهميتهما فى عملية التنشئة الاجتماعية . وربما يرجع هذا الاختلاف إلى أن الأطفال أكثر ارتباطا بالأسرة ، وأن المدرسة تمثل لهم مكانا للتعليم والتحصيل فحسب ، وليست مكانا يقدم للطلاب الدفء العاطفى اللازم . وهذا التناقض فى إدراك دور الأسرة والمدرسة لدى الأطفال يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة ، ولكن رغم هذا الاختلاف ، فإن الأسرة والمدرسة تتفقان فى تدرج أساليب العقاب ، ورغم أن كلا من المدرسة والأسرة تتخذان

من أسلوب التدرج وسيلة للعقاب ، فإن استخدام الأساليب القاسية فى العقاب تستحق منا أن نعتد بها كنتيجة مستقلة . فقد أكد الطلاب على أن الضرب يستخدم فى الأسرة وفى المدرسة . وجاءت نسبة من أكدوا على استخدام الضرب فى الأسرة ٣ر٤٢٪، وأكدت نسبة تقترب من هذه النسبة إلى حد التماثل ٤ر٤٢٪ على استخدامه فى المدرسة . وهذا يدل على أن أسلوب العقاب البدنى ما يزال أسلوباً شائعاً فى المنزل وفى المدرسة ، وأن شيوعه يكاد يكون متساويا هنا وهناك ، وأن الأسرة المصرية لم تستطع أن تتجاوز هذا الأسلوب ، كما لم تستطع المدرسة أن تتجاوزه أيضا .

وعلى ذلك ، فإن موضوع العقاب كأسلوب من أساليب التنشئة الاجتماعية فى الأسرة والمدرسة ينبغى النظر إليه فى ضوء عدد من الاعتبارات ، منها : ارتباط أساليب العقاب بخصائص الموقف الذى تمارس فيه هذه الأساليب وخصائص الفرد الذى يمارس عليه الأساليب العقابية ، وأن ترتبط فكرة العقاب باستحقاقية العقاب وبقدرته على تعديل سلوك الأفراد ، فليس العقاب هو الوسيلة الوحيدة للإصلاح والتقويم ، ولكن عندما يأتى دوره فلا مناص منه . كما ينبغى أن نلفت النظر إلى أن ثقافة العقاب تعد ثقافة متغلغلة فى التركيبة البنائية للمجتمع المصرى : إذ لها تاريخ ولها أليات تحافظ على استمرارها ، فقد غرست غرسا ودعمت بعادات وتقاليد ومأثورات شعبية ، وقيم ، ومخططات عقلية جعلت منها واقعاً ملموسا ظاهراً فى كل ما يتعلق بالممارسات الحياتية والتعليمية والتربوية التى يتعامل بها الكبار مع الصغار ؛ وبالتالى فإن أية محاولة لتعديل هذه الفلسفة العقابية والأيديولوجيات الراسخة فى فكر الآباء والمدرسين ، ينبغى أن تبنى على دراسات واعية تحيط بالجوانب المختلفة لهذا الموضوع والسياقات

المختلفة التى يمارس فيها العنف على الوعى بإمكانية تحقيق الأمان فى بيئة المدرسة .

١١- وقد كشفت الدراسة النفسية عن عدد من النتائج الهامة من بينها :

أ - ارتباط العنف ببعض متغيرات الشخصية كالعصابية ، والانبساطية، والقلق ونمط السلوك (أ) ، والميل إلى الإثارة ، ووجهة الضبط .

ب - وقد دفعتنا تلك الارتباطات بين العنف وبعض متغيرات الشخصية إلى الوقوف على السمات الفاعلة فى التنبؤ بالعنف ، وقد كشفت هذه الخطوة عن بعض متغيرات الشخصية المنبئة بالعنف ، وهى : الذهانية ، وتأكيد الذات ، والعصابية والانبساطية ، والميل إلى الإثارة ، والقلق ، ووجهة الضبط .

من خلال النتائج السابق عرضها ، يمكن القول إن العلاقة بين العنف وسمات الشخصية ليست بسيطة ، ولكنها تتميز بقدر من التباين ، وذلك على مستوى العينات المتضمنة فى الدراسة بعضها البعض ، وهذه العلاقة ليست علاقة خطية ، وإنما هى علاقة تتشعب فيها متغيرات عديدة ، كالنوع والمرحلة ونوع التعليم ونمط التعليم .

ويمكن أن نشير فيما يلى إلى بعض الدلالات التطبيقية لنتائج هذه الدراسة :

١ - يمكن أن تساعد نتائج الدراسة الإخصائيين النفسيين والاجتماعيين فى التعامل مع الطلاب ، على اعتبار أن فهم السمات الشخصية النفسية المرتبطة بالسلوك العنيف والقدرة على قياسها يساعد فى التعامل مع الطلاب ذوى الميول العدوانية ، ويساعدهم على التكيف مع بيئة المدرسة .

٢ – كما تساعد النتائج التى توصلنا إليها فى عمليات تعديل السلوك ، من خلال رسم برامج أو استراتيچيات خاصة بالطلاب ذوى الميول العدوانية والعنف . وتقوم هذه البرامج على تعديل نسبى لبعض سمات الشخصية :

٣ – ومن ناحية ثالثة ، فإن نتائج هذا البحث يمكن أن تساعد فى رسم سياسات للوقاية من العنف والعدوان داخل المدارس . فالواضح أن فهم الاستهداف للعنف والمتغيرات الفاعلة فيه يمكن القائمين على شئون التعليم من وضع سياسات وقائية لهذه السلوكيات العنيفة فى المدارس .

٤ – الاستفادة من النتائج التى توصلنا إليها فى إعداد برامج وقائية للحد من الاستهداف للعنف .

٥ – وأخيرا ، فإن هذه الدراسات تلفت النظر إلى السمات النفسية الأكثر ارتباطا بالعنف ، ومن ثم يمكن العمل على اكتشاف هذه السمات مبكرا لدى الطلاب حتى فى المراحل الأدنى من التعليم (فى التعليم الابتدائى) ، بحيث يمكن التعامل معها مبكرا ، والعمل مع التلاميذ الصغار ، بحيث يمكن تجنب نموهم على نحو غير سوى .

ثانيا : نحو استراتيجية لتحقيق الامان المدرسى والوقاية من العنف المدرسى

لعل الفائدة الكبيرة التى ترجى من بحثنا هذا أنه يمكن أن يسهم – من خلال نتائجه – فى بناء تصور حول تحقيق الأمن المدرسى والوقاية من العنف داخل وخارج أسوار المدرسة ، خاصة أن العنف المدرسى فى مصر لم يصل – كما أكدت نتائج هذا البحث – إلى حد الخطورة ؛ ولذلك فإن الحاجة إلى بناء استراتيجية للوقاية منه تعد إحدى الضرورات المهمة ، طالما أن الاتجاه فى المستقبل يتجه نحو إمكانية تزايد هذا النوع من العنف .

ومن ناحية أخرى ، فإن الاستراتيجية المرجوة لايجب أن تركز فقط على العنف داخل المدرسة ، بل يجب أن تتخذ من قضية الأمان المدرسى بمفهومه الواسع مدخلا لنا . الأمان – هنا – هو أمان يبدأ فى بيئة الطفل ، وفى طريق الطفل للمدرسة ذهابا وإيابا ، وفى داخل المدرسة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هذه الاستراتيجية يجب أن تتجه نحو مستويات مختلفة . فهى يجب أن تتجه – أولا – إلى إدارة المدرسة ، ثم إلى البيئة المحيطة بالطفل ، ثم إلى المناهج الدراسية ، فلا يصح إلا التكامل فى هذه الحالة ، بحيث تتجه البرامج والأنشطة التى توجه للوقاية من العنف عبر قنوات تتراوح بين بيئة الطفل الأسرية والمجتمعية ، وعبر مضمون الكتب المدرسية ذاتها ، ونطرح فيما يلى بعض الأسس التى يجب أن تقوم عليها استراتيجية الوقاية من العنف المدرسى .

١- الثقافة المدنية

يقصد بالثقافة المدنية الثقافة التى ترتبط بتحقيق التكامل الاجتماعى فى المجتمع ، والتى يشعر من خلالها الأفراد بأنهم يعيشون فى المجتمع كمواطنين يتعاملون مع بعضهم وفقا لأسس المواطنة . وتنهض الثقافة المدنية أيضا على فكرة التطوع من أجل تقديم العون للآخرين ، ومن أجل حل مشكلاتهم . إن جوهر الثقافة المدنية هو الوعى الكامل بأن الحياة الاجتماعية تقوم على التعاون وليس الصراع ، وأن الآخر هو شريك فى الحياة الاجتماعية وليس موضوعا للصراع الاجتماعى ، وبهذا فإن الثقافة المدنية هى ثقافة مضادة للعنف ، ومحققة للأمان الاجتماعى فى أسمى معانيه . وتنقسم مسئولية تعلم الثقافة المدنية بين الأسرة والمجتمع المدنى والمدرسة ووسائل الإعلام .

أ – ففى النطاق الأسرى ، توضع اللبنات الأولى للثقافة المدنية عندما تبعد

الأسرة عن التعصب ، وعندما تعلم أبناءها قيم التطوع والمواطنة والعمل التعاونى مع الآخرين .

ب – وفى المجتمع المدنى ، يتجسد التعاون والتطوع والعمل المشترك . والسؤال المطروح هنا : هل يمكن لمؤسسات المجتمع المدنى ألا تكتفى بالكبار وأن تفتح للصغار من الأطفال والمراهقين مجالا للعمل التطوعى ؟ إن التدريب على العمل التطوعى والوعى به له تأثير كبير على القضاء على شحنات الانفعال ، وعلى طاقة العنف ، كما أنه يعمل على إخراجها فى صور إيجابية فعالة ، هذا فضلا عن تأثيره المباشر على غرس قيم التعاون والإيجابية والمواطنة .

جـ – وفى المدرسه ، فإن تعلم الثقافة المدنية تقع مسئوليته على إدارة المدرسة والمدرسين من ناحية ، وعلى محتوى المواد الدراسية من ناحية أخرى . فالإدارة المدرسية لابد وأن تكون إدارة ديمقراطية تدرب الطلاب على المناقشة والحرية ، وتقدم لهم نماذج سلوكية تحتذى . ومن الناحية الأخرى ، فإن محتوى المادة الدراسية لابد وأن يحتوى على مادة تغرس قيم الثقافة المدنية . بل إننا ربما ندعو هنا إلى أهمية إيجاد منهج موحد للثقافة المدنية يدرسه الطلاب فى المرحلة الإعدادية (الصف الثانى أو الثالث الإعدادى) .

د – وتشكل وسائل الإعلام القناة الرابعة والأخيرة فى تكميل الثقافة المدنية ؛ وذلك أن تأثير الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة من أكثر صور التأثير على تكوين القيم والمعتقدات والأفكار ، ويمكن أن تنظم برامج خاصة للتعليم المدنى تقدم فكرة العيش المشترك والحياة المدنية الواقعية وقيم التعاون والتطوع .

٢-الأنشطة الطلابية

تعد الأنشطة الطلابية إحدى الوسائل الهامة التى يمكن من خلالها تحقق هدفين :

الأول : هو تطوير وتنمية الثقافة المدنية المضادة للعنف المدرسى بشكل خاص ، والعنف والتطرف بشكل عام .

والثانى : العمل على خلق محاور لتفريغ الطاقة العنيفة .

والأنشطة الطلابية الموجهة نحو القضاء على العنف المدرسى أو الوقاية ليست مجرد أنشطة لسد وقت الفراغ لدى الطلاب ، وإنما هى أنشطة تهدف – فى الأساس – إلى بناء الطالب من الجوانب الفيزيقية والنفسية والاجتماعية والثقافية ، وهى تقوم على فلسفة أن العملية التعليمية ليست مجرد إكساب للمعارف والمهارات ، أو أنها مجرد عملية تعلم ينقل فيها المدرسون رسائل تعليمية إلى الطلاب . فعلى العكس من ذلك ، فهى عملية متكاملة ، تتكامل فى إطارها شخصية الطفل وتنمو نموا طبيعيا . ومن ثم ، فإن هذه الأنشطة يجب أن توجه نحو بناء عقل الطالب وقيمه وشخصيته ، هذا فضلا عن بناء جسمه بناء سليما . وفى ضوء هذا الفهم ، فإن عددا من الأنشطة يمكن أن يوجه مباشرة إلى منع حدوث العنف بين الطلاب ، ومنها .

أ – مناقشة مشكلات الطلاب فى حلقات نقاشية تتميز بالوضوح والشفافية .

ب – العمل على تنمية المسرح المدرسى ، بحيث يقدم نماذج من السلوك اللااجتماعى بين الطلاب ، ويقومها ، ويعرف الطلاب بالمترتبات الناجمة عنها .

جـ – تدريب الطلاب على الممارسات الديمقراطية التى تظهر احترام الآخر بوجه عام ، واحترام آرائه (تقليد نموذج الأمم المتحدة أو البرلمان مثلا) .

د – العمل على تقوية وتدعيم الأنشطة الجماعية التى يشترك فيها أكثر من مجوعة من الطلاب من فصول مختلفة ، وربما من مدارس ومحافظات مختلفة .

هـ – العمل على مشاركة الأسرة فى الأنشطة الطلابية ، وخلق قنوات اتصال دائم بين الأسرة والمدرسة .

و – العمل على أن يختار الطلاب الأنشطة بأنفسهم دون أن يتدخل المدرسون إلا فى النزر اليسير ، والتوسع فى هذه الأنشطة ، بحيث يجد كل طالب ما يلائمه .

٣- نحو ثقافة تعليمية حديثة

من الأمور التى التفتت إليها دراستنا هذه تنامى الظواهر السلبية داخل الفصول ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى فقد ألمحت إلى القلق الذى يظهر فى الأسرة حول أمن التلميذ فى المدرسة ، ويدفعنا هذا إلى أن نعيد النظر فى الثقافة التعليمية التى لا يجب أن تنتشر داخل الأسرة وحسب بل وفى المدرسة أيضا .

أ – ففى الأسرة ثمة حاجة إلى أن تغير الأسرة مفهوماتها عن التعليم وأهدافه ، وعن المدرس والمدرسين ، وأن تنقل إلى الأولاد والبنات قيم الديمقراطية والمساواة ، بحيث يسلك الأطفال فى المدرسة على أنهم أطفال عاديون مثلهم مثل الآخرين لا يتميزون عنهم فى شئ ، وأن التعليم هو وسيلة لصياغة المواطن الصالح ، وأن المدرسة ليست ملكا لأحد ، ولا يحق للأسرة أن تتدخل فى شئونها التربوية ، وأن التدريس مهنة إنسانية ، وأن المدرسين مثلهم مثل الآباء ، يتحملون معهم عبء إعداد المواطن للمستقبل .

ب – وفى المدرسة لابد أن تتطور ثقافة إدارية مغايرة ، فالمدرسة ليست مؤسسة إدارية فحسب ، بل هى مؤسسة ذات علاقات إنسانية ، وتهدف إلى تقديم الأفكار المبتكرة ، ودعم روح الديمقراطية ، وتأصيل العلاقة بينها وبين الأسرة ، وخلق إطار إدارى وتربوى لغرس قيم العدالة والمساواة والديمقراطية .

جـ – ومن ناحية ثالثة ، فإن المجتمع المدنى له دور كبير فى نشر ثقافة التعليم الجديدة ، من خلال العمل المشترك مع المدارس فى القرى والأحياء الحضرية ، والعمل على تدعيم أساليب السلوك الإيجابية التى تؤدى إلى القضاء على الظواهر المنحرفة ، كالعنف ، والغش فى الامتحانات ، وذلك عن طريق إقامة ندوات مشتركة بين الجمعيات الأهلية والمدارس ، وتدعيم وسائل التدريب للمدرسين والآباء والأمهات .

٤-الإدارة المدرسية الفعالة

ولايمكن أن تتحقق الوقاية من العنف إلا فى ظل إدارة مدرسية فعالة تتأسس على فهم جديد لمدرسة المستقبل ، وتكون :

أ – قادرة على القيام بعملية التعليم فى مناخ ديمقراطى ، وفى إطار مشاركة فعالة من المجتمع ، وتعاون وثيق مع الأسرة والمجتمع المدنى .

ب– وقادرة على أن تصنع لنفسها مفهوما محددا للعملية التعليمية يشتق من السياسة العامة للتعليم فى الدولة ، يترجم (المفهوم) فى برامج وأنشطة محددة داخل الفصل وخارجه ، ويستوعب من قبل كل المشاركين فى العملية التعليمية ، ويصبح نجاحهم رهنا بقدرتهم على ترجمة هذا المفهوم فى سلوك عملى فعال .

جـ – وقادرة على تخليص المؤسسات التربوية من كل المظاهر التقليدية المحطمة للأداء ، والمعرفة له ، مثل الشللية والمحسوبية وسيطرة العلاقات الشخصية . إن الإدارة الحديثة لا تؤتى ثمارها إلا فى إطار ثقافة حديثة وتفكير عقلانى خلاق .

د – وقادرة على تشغيل مدرسين لديهم قدرات خاصة ، لا تتمثل فى اكتسابهم معارف وثقافة شاملة فقط ، بل تتمثل أيضا فى أساليب حياة وأطر فكرية وتوجهات معرفية مختلفة .

تعقيب الدكتور حسن البيلاوى رئيس الجلسة

العنف ظاهرة اجتماعية ، يجب النظر إليها فى سياقها الاجتماعى ، وقد تنبه البحث إلى أن ثمة عوامل خارج المجتمع المدرسى هى أكثر عنفاً من تلك التى توجد داخل المدارس . وعلى ذلك ، فالمتوقع أن العنف فى المدارس قد يكون صدى للعنف فى المجتمع بصفة عامة . فهناك أشكال مختلفة من العنف فى المجتمع مثل عنف الفقر . ولكن مواجهة العنف من خلال المبالغة فى عملية ضبط الطلاب داخل المدرسة ، والفصل ليس له مايبرره فى العملية التعليمية ، أو عملية تكوين الشخصية أو المبادئ التربوية ، ويحدث ذلك أيضاً فى الأسرة ، ولكن بأسلوب آخر ، كفرض الالتزام بالاحترام المبالغ فيه من الأطفال والرقابة الزائدة عليهم .

وفيما يخص عملية العقاب ، فهناك تساؤل يطرح نفسه ألا وهو ، ما أيديولوچية العقاب فى المجتمع المصرى ؟ الملاحظ أن أكثر أنواع العقاب هو العقاب البدنى ، وقد يبرر ذلك كون العنف البدنى هو أكثر أنواع العنف ، وقد غدت مسألة العقاب مسألة خطيرة ، حتى أن العمل اليومى لايمكن – فى كثير من

الأحيان – إنجازه إلا عن طريق العقاب ، وإذا كانت الأسرة هى مؤسسة رعاية والمدرسة مؤسسة تربوية ، فإن البنية الاجتماعية للأسرة لابد أن تختلف عن البنية الاجتماعية للمدرسة ، فالأسرة تقوم على العلاقات الخاصة بالدم والقرابة بين أفرادها ، والمفترض أن تسودها المودة والحب والرعاية ، أما المدرسة فبنيتها الاجتماعية قائمة على البيروقراطية كأسلوب لتنظيم العمل على غرار العمل فى المصانع والشركات طبقاً للقوانين واللوائح التى تحكمها ، ويعنى ذلك أن الأطفال يتلقون ثقافة فى الأسرة قد تختلف عن ثقافة المدرسة ، وقد يصل هذا الاختلاف إلى حد التناقض بينهما ، وعلى ذلك فالتحليل الاجتماعى داخل المدرسة عملية معقدة .

وقد طرحت الورقة – من خلال البحث – حلاً يتمثل فى المطالبة بتوفير بنية تربوية آمنة وإنسانية تتنوع فيها الأنشطة العلمية والثقافية والترفيهية ، ورغم ذلك فهناك ثقافة مجتمعية تتضمن علاقات بنيوية ضاغطة فى اتجاه تكريس العنف وثقافته ، والمثال لذلك مكتب التنسيق ، حيث يمارس أولياء الأمور الضغط على أبنائهم لتحصيل أعلى الدرجات للالتحاق ببعض الكليات ، واضعين نصب أعينهم مرحلة التنسيق ومكتبه ، ويترجم ذلك فى اللجوء للدروس الخصوصية ، والاعتماد على التلقين والحفظ . ويظهر العنف أيضاً فى مظهر آخر ، ألا وهو الاهتمام الزائد والمبالغ فيه بتلك الشريحة التى تلتحق بالثانوية العامة ، والتى لاتجاوز ٢٧٪ من شريحتهم العمرية ، فى نفس الوقت الذى يهمش المجتمع ، ويهمل ٦٣٪ من نفس الشريحة العمرية ، ألا وهم الملتحقون بالتعليم الثانوى الفنى بقطاعاته المختلفة .

وعلى ذلك ، فالمجتمع فى حاجة إلى تغيير ثقافته فى هذا المجال ، وتغيير بناءه الاجتماعى والثقافى . فالبنى الاجتماعية هى التى تكون الاتجاهات الثقافية

لدى أفراد المجتمع ، والتى تظهر فى سلوكيات يومية ، ولاشك أن هذه الثقافة تتأثر بعصر مابعد الحداثة بمتغيراته المتنوعة ، فالمجتمع المصرى يعيش فى تأثيرات عصور مختلفة ، الحداثة وما قبلها ومابعدها ، ولذلك تأثيره على بعض المفاهيم ، كالشللية . فالإنترنت – مثلا – يؤثر على المفهوم التقليدى للشللية ، الذى يقوم على السن ويغيره إلى مفهوم حديث يقوم على نوع الاهتمام ، ويحتاج ذلك إلى دراسات لبيان التفاعلات والعلاقات الإنسانية فى ضوء التغييرات المذكورة ، وقد تكون هذه العلاقات مخرجا للهروب من البنى الاجتماعية الضاغطة إلى بنى اجتماعية غير ضاغطة .

ونخلص من ذلك إلى أننا أمام مفاهيم كثيرة تحتاج إلى النظرة العلمية الشمولية ، كالشللية ، والضبط الاجتماعى ، وأيديولوچية العقاب ، والعدل الاجتماعى ، والبنية المدرسية الآمنة ، والإنسانية ومحدداتها ، ولابد من الاهتمام بالتعليم الفنى وطلابه وربطه بسوق العمل . وإذا كان العنف أكثر انتشارا بين طلاب التعليم الفنى ، فقد يرجع ذلك إلى انتشار هذا النوع من التعليم – بصورة أكبر – فى الفئات الأكثر فقراً ، وقد يكون العنف إحدى وسائل الفقراء لإعادة إنتاج وضعهم الاجتماعى .

اتجاهات النقاش*

أثمرت الندوة عن عدد من موضوعات النقاش ، وعدد من التوصيات حول تفعيل نتائج البحث ، وكذلك طرح بعض الأفكار لأبحاث مستقبلية تناقش موضوع العنف .

* قام بصياغتها كل من : أ . إكرام إلياس ، وأ . شريف نصر ، الباحثين بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

وقد جاءت أهم محاور النقاش التى دارت حولها الندوة وفق مايلى :

أولاً : المناقشات حول المنهج والعينة وأسلوب المعالجة

* دارت المناقشات حول تطور الظاهرة المرتبط بشكلها الارتقائى مابين مرحلتى التعليم الإعدادى والثانوى ، ومظاهر الفرق بين التعليم الخاص والحكومى عند ممارسة العنف بين التعليم الخاص والحكومى ، حيث اقتصرت العينة على تناول التعليم الحكومى .
* كما تناول النقاش إمكانية دراسة التفاوت فى درجة إدراك العنف بين الطالب العنيف وغيره من الطلاب غير العنيفين ، وإن كان البحث قد تدارك ذلك فى تناوله لدرجات التعرض من المشاهدة إلى الممارسة ، وأن ليس كل من يشاهدون عنفاً يمارسونه .
* ورأى بعض المناقشين أن العنف باعتباره أبرز وأشد صور العدوان ، فبالتالى يمكن اعتبار الدراسة ضمن دراسات "صور العدوان بين تلاميذ المدارس" .
* كما ذهب البعض الآخر من المحاورين إلى أن هناك بعض القصور فى تناول المقاييس النفسية ، خاصة مايرتبط منها بدراسة الجوانب المرضية فى حالات الطلاب العنيفين ، فقد كان من المستحب تناول الجوانب الذهانية والعصابية ، إلى جانب تركيزها الواضح على تأكيد الذات لدى هؤلاء الطلاب .
* كما أشير إلى أن هناك بعض القصور فى تناول العنف كظاهرة نفسية من حيث الاهتمام بالتفاعل النفسى ، والسياق النفسى الاجتماعى ، إلا أن النقاش أثبت توافر كثير من تلك الجوانب فى البحث ، ولكنها تبرز بالتقرير الاجتماعى ، ولم تشأ الهيئة إحداث نوع من التكرار بين التقريرين النفسى والاجتماعى المنبثقين من ذات البحث .

* أثير نقاش حول اعتماد البحث على المقارنة بعنف الطلاب بالولايات المتحدة الأمريكية دون أن نقارن بغيرها من الدول . وقد كانت نتيجة النقاش أنه لم تجر مقارنة ، وإنما التأصيل النظرى والاعتماد على سياق الأدبيات المتوافر حول الظاهرة هو الذى أوحى بذلك .
* كما أثير الجدل بشأن العلاقة بين حجم العينة وعدد طلاب المدارس على مستوى الجمهورية ، ومدى تمثيل العينة للطلاب ، واعتبار أن العينة بهذا الحجم عينة صغيرة نسبياً . وقد أسفر النقاش عن أن المستشار الإحصائى للبحث قد سحب العينة بناء على معايير منضبطة تجعل من مواصفات العينة أقرب لأن تكون عينة قومية ممثلة لمجتمع الطلاب .
* وطرح جدل آخر حول أهمية المقارنة بين المدارس التى يمارس فيها نشاط وآخرى لا تمارس فيها نشاطات مدرسية . وأسفر النقاش عن أن ذلك سيظهر فى المقارنة على مستوى الدراسة الإيكولوجية .

ثانياً : الموضوعات المثارة حول الخلفية التاريخية والسياق الاجتماعى للظاهرة

* أثيرت عدة نقاشات حول تناول الجذور التاريخية لتشكل العنف بين فئات المجتمع المختلفة ، وكيف تم ظهور أو اختفاء قيم معينة من المجتمع المصرى ، مع بزوغ واختفاء طبقات اجتماعية معينة ، ومساهمة ذلك فى تشكل العنف واحتلال صور معينة من العنف مساحة كبيرة فى المجتمع المصرى ، أى أنه لابد من تناول الموقف التاريخى لحالة العنف فى الفترة الآنية مقارنة بما سبقها من فترات .
* كما طرحت عدة أفكار حول ثقافة العنف ، وعناصرها البنائية . فالمدرسة – باختصار – كمؤسسة منوط بها وظيفة أو وظائف معينة تكفل لها نوعا من

الاستقلالية ، فلابد من إجراء التغيير والمراجعة اللازمة بشكل دورى ، بحيث لاتصبح وتستمر المدرسة مؤسسة ضاغطة . وفيما ذكر من استدلالات مارواه أحد العلماء المغاربة من أن المدرس ظالم فى المدرسة مظلوم خارجها ، وفى كتاب آخر من إعداد د . فاطمة نصر بعنوان "التعليم والسعادة" ، حيث انتقدت خلاله ممارسة الضغوط فى العملية التعليمية ، والمتمثلة فى عدم وجود علاقة حوارية بالمدرسة ، وكذلك نوعية المناهج التى لاتتناسب مع متطلبات التخصص التى يختارها الطالب .

* وتعرض الحوار لأهمية تناول تأثير الثقافة المدرسية والثقافة الدينية والممارسة الديمقراطية والعدل الاجتماعى على ممارسات العنف لدى الطلاب .

ثالثاً : أسباب وتداعيات الظاهرة

* إن ممارسة العنف على المستوى الشللى أو الجماعى يتطلب البحث فى عدة عناصر ، منها هل هذا العنف المارس عنف جماعى أم عنف ذاتي ، عنف صريح أم عنف رمزي ، كما أن هناك أشكالا يسيرة ولكنها منبئة عن العنف ، كممارسة الخربشة والكتابة على الجدران والمقاعد ، بالإضافة إلى أن وجود الشلة فى حد ذاتها ليس دائما من بواعث القيم السلبية ، وإنما – فى كثير من الأحيان – يبث القيم الايجابية فى الجماعة الشللية ، وأنه – فى كثير من الأحيان – يكون الظلم غير مقصود نتيجة الازدحام والمزاحمة .

* إن العنف قد ينتج عن عنف المدرسين والإدارة النابع من إحساسهم بالظلم والقهر . فالقائمون بالعملية التعليمية قد يشعرون بقيمة الظلم الذاتى لأسباب عدة ، فقد يكون من النازحين من الريف إلى الحضر ، أو يعانى من مجموعة من الإحباطات والقهر المستمر التى تخلق بالضرورة منه قدوة عنيفة .

فالمدرسة نفسها كوظيفة من الوظائف تتطلب مراجعة مستمرة تتناسب مع طبيعة الوظيفة فى كل زمان ومكان ، وبشكل مستمر .

* كما رأى الكثيرون أن الظاهرة ترجع إلى وجود ركود فى العملية التعليمية يحول دون تفريغ الطلاب لطاقاتهم ، فكثير من العوامل يخلق من المدرسة بيئة تعليمية غير صديقة ، فالمفترض هو العكس أن تكون البيئة التعليمية صديقة تبعث الطمأنينة والأمان ، فهناك الازدحام ، وهناك جبر وإجبار فى المناهج ، حتى فى القيم التى تبثها العديد من المناهج ، وانتشار الدروس الخصوصية ، وأيضا طريقة الامتحان .

* كما أرجع البعض – على خلاف ماتوصلت إليه نتائج البحث – أن الإعلام من أكثر العوامل المساعدة على العنف ، خاصة وأن بحثها فى العلاقة بين الخير والشر لا تعزز القيم الإيجابية ، وإنما تركز على تنمية القدرات الجسمية والعضلية للطلاب ، فالإعلام يعطى أسوأ أمثلة فى العنف ، خاصة وفى ظل العولمة أصبح ٩٠٪ تقريباً من المادة الإعلامية الدرامية المرئية تعتمد على الفكر الأمريكى ، وتنصب على تعليم العنف لأبناء المجتمع المصرى .

* وكثير من المناقشين أرجع العنف لدى الطلاب فى تعطيل طاقات الطلاب البدنية ، فالعنف صورة سلبية من توظيف تلك الطاقات ، فلابد من توفير مجالات لممارسة الأنشطة المختلفة : موسيقية ، ورياضية ، وثقافية ، وغيرها .

رابعاً : التوصيات والمقترحات لتفعيل نتائج الدراسة مستقبلياً

١ – فى إطار ماقدم البحث من توصيات وإطار توجيهى إرشادى جيد ، رأى البعض ضرورة الانطلاق إلى ممارسة برنامج وقائى توجيهى وإرشادى للوقاية من العنف يوجه إلى المدارس والقائمين على العملية التعليمية .

٢ – أن يعتبر البحث ضمن المشروعات البحثية الكبرى التى ينبثق منها عديد من الدراسات حول عنف الشباب ، فى علاقتها بالمخدرات ، وفى علاقتها بالبطالة ، وفى علاقته بالجريمة ، إلى غير ذلك من أفكار .

٣ – بناء على ماتوصل إليه البحث من نتائج ، ذهب البعض إلى ضرورة إعادة تدريس مادة الأخلاق ، ويخصص جزء منها لتعليم السلوك القويم ، وأن يرتبط هذا النوع من الدراسة بذكر نماذج وشخصيات حية ، بهدف إعلاء الشخصية النموذج أو القدوة الصالحة لدى الطلاب .

٤ – أن تهتم الجهات المعنية بعمل دورات تدريبية متخصصة لإعداد العاملين فى مجال التدريس الجامعى والفنى والمراحل الدراسية المختلفة وتأهيلهم على السلوك التربوى الملائم ، وإعداد بنية تربوية سليمة مبدعة لديها مهارات مهنية وتعليمية لتلافى العنف .

* هناك ضرورة لتفعيل القيم الدينية وإبراز موقفها من العنف ، وتخصيص مناهج دراسية جادة تهتم بهذا المجال ، وكذا التأكيد على إقامة الشعائر الدينية ، وتخصيص أماكن لها داخل المدرسة .

٥ – ضرورة الاهتمام بدور الممارس النفسى والإخصائى النفسى بالمدرسة ، ووضع مشروع قومى يعمل على توفير مكان أو عيادة نفسية بكل مدرسة تهتم بالحالات المبالغ فيها ، ومن بينها الحالات العنيفة ، حتى وإن كان ذلك بأجر رمزى .

الختـــــام

وفـى نهـايـة هـذه النـدوة التـى أثـارت كثـيرا مـن الإشكاليات والحلـول المطروحـة لهـا - سـواء على مـستوى نتـائج البحث أو على مسـتوى المداخـلات القيمـة من السـادة الحضـور أصحـاب الفكر التربوى والسـوسـيولوچى والنفسـى ، أو على مـسـتـوى التـحليـلات الكمـيـة والكيـفـيـة - نـأمل أن تكون هذه الرؤى والحلول والسياسـات محل الاهتمام على المستويات التنفيذية .

Abstract

VIOLENCE AMONG SCHOOL STUDENTS

AN OVERVIEW

Ahmed Zayed

This symposium aims at investigating patterns of school violence in Egypt as well as exploring the variance of school violence according to educational stages and type of education. It tackles violence in a wider context to cover patterns of violence in streets, the way to and from school, as ewll as violence in classes, breaks and pre. school gatherings. The study has made use of a questionaire applied on 3600 students, selected from different Kinds of schools in seven governorates all over Egypt. The quantitative analysis of the data reveals that the rate of violence among students reaches 30%. It is higher among males and outside school. The study ends in outlining a vision for controlling school violence in the future.